وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب
قسم الفلسفة

فلسفة الأخلاق عند سبينوزا

رسالة قدمتها الطالبة

آمال علي فلحي

الى

مجلس كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

وهي جزء من متطلبات درجة ماجستير آداب في الفلسفة

إشــراف

الأستاذ المساعد حسون عليوي فندي

١٤٢٧ هـ

٢٠٠٦ م

الخاتمة

أن فكر سبينوزا الأخلاقي الذي بناه على أساس هندسي كان وقته أشبه باختراع سابق لأوانه . ذلك لأن الظروف التاريخية والاجتماعية لم تكن قد بلغت من التبلور في ذلك الوقت ما يسمح لها باستيعاب هذا الاكتشاف .

لذا فأن الأفكار التي طرحها سبينوزا في عصره لم يكن هذا العصر على استعداد لتقبلها وكان لا بد من مرور قرن كامل قبل أن تتهيأ الظروف التي تجعل قبول فكر سبينوزا أمراً ممكناً .

أما في ميدان الأخلاق فأن سبيوزا ينتقل في الأخلاق – كما ذكرنا – من مجال ما ينبغي أن يكون الى مجال ما هو كائن ويؤكد بوصفه باحثاً أخلاقياً على أنه لا يحتقر شيئاً أو ينتقد سلوكاً وإنما يفهم الطبيعة البشرية كما هي . ونلاحظ عند سبينوزا أن الانفعالات هي أساس الشقاق بين الناس . وأن العقل أساس التقريب بينهم ، فاذا كان العقل هو وسيلتنا الى قهر الانفعالات ، فلا بد أن سعي الإنسان الى التغلب على انفعالاته يؤدي بالضرورة الى تأكيد المعاني الاجتماعية في نفس الإنسان . ويمكن قيام المجتمع طالما احتفظ هذا المجتمع لنفسه بالحق الذي بملكه كل شخص في الانتقام لنفسه من الأذى والحكم بنفسه على ما هو خير وما هو شر. وأن وجهة نظر تحرر الإنسان هي تلك التي يكون فيها العقل قادراً بالفعل على تخليص الإنسان من انفعالاته بالتفكير فيها . ونرى أن محاولة الإنسان

قهر انفعالاته تؤدي الى التقريب بين الناس وتأكيد القيم الاجتماعية في نفس البشرية .

ونجد عند سبينوزا أن الخير والشر مقولتان أخلاقيتان تستمدان من قيم البشر الاجتماعية والاقتصادية والناجمة عن اتصال الناس بعضهم ببعض ، بحيث أننا لو تصورنا حالة طبيعية للناس لا يظهر فيها تأثير القيم الاجتماعية فمن المحال أن يكون للشر فيها وجود لذلك أن القيم الخلقية أنما هي موجودة أصلاً في المجتمع وأفراده يتفقون سوية على إعطاء قيم للأفعال التي يقومون بها . فالخير والشر مثلاً لا يدلان على صفة موجودة في الأشياء منظوراً إليها في ذاتها ، وإنما هي أحوال الفكر، أو موضوعات فكرية تكونها من مقارنة الأشياء بعضها ببعض وهكذا يمكن أن يكون الشيء الواحد في الآن خيراً وشراً ، ولا خيراً ولا شراً إزاء أفراد مختلفين .

ونستطيع القول أن هدف سبينوزا في فلسفته الخلقية هو بناء أخلاق الإنسان الحر تلك الحرية الناجمة عن التحكم الذاتي لذا نراه يتحدث عن الطريق الذي يسير فيه العقل حيث يكتشف الضرورة الكامنة في الكون فيحرر ذاته عن طريق فهم طبيعته وعلاقته بالعالم فهماً كاملاً .

وفضلاً عن ذلك فقد وصلت الى النتائج الآتية :-

١ . وجدت أن الإنسان عند سبينوزا لا يكون بمعزل عن الطبيعة وقوانينها، وهو ينتقد بشدة أولئك الذين تصوروا الإنسان على أن وجوده في الطبيعة وكأنه دولة داخل دولة ويظنون أن له سلطاناً على أفعاله وأن

شيئاً لا يتحكم فيه سوى ذاته ، ذلك لأن نقطة البداية الأساسية في نظريته الأخلاقية هي إدراك الارتباط بين الإنسان والطبيعة .

٢ . نستطيع أن نقول أنه أكد على ضيق حدود العقل الإنساني وعدم قدرته على استيعاب الكون بأبعاده اللامتناهية. هكذا ينظر الى الكون من مجاله الخاص المحدود فيتأمله من خلال أمانيه ورغباته الخاصة ويفسره على أساسها .

٣ . يمكننا عد نظرية سبينوزا في الأخلاق نظرية نسبية لأن الكون والعالم بنظره خال تماماً من القيم البشرية ، فلا يوجد في الكون ما هو خير أو شر ولا ما هو جميل أو قبيح وليس للأخلاق أي دلالة ميتافزيقية ، ذلك لأنها تتعلق بوجهة نظر البشر فحسب .

٤ . لقد وجد سبينوزا أن جميع الانفعالات ومنها الانفعالات الأساسية الثلاث وهي (الفرح والحزن والرغبة) ترد الى النزوع الأساسي وهو نزوع الكائن الى حفظ ذاته ، أي المساعدة على استمراره في الوجود أو الحيلولة دون ذلك.

٥ . يمكن أن نقول أن الإنسان وانفعالاته جزء من الطبيعة تسري عليه نفس القوانين التي تسري على الطبيعية ، ولهذا فسبينوزا يعالج الانفعالات على أنها ظواهر طبيعية خالصة وينزع عنها كل ما كان يعزى إليها على يد الفلاسفة من أسباب استثنائية .

٦ . تبين لنا أن سبينوزا حتمياً صارماً فهو لا ينظر الى الحرية بالمعنى الذي يقول به اللاحتميون على أنها لغو لا معنى له والمعنى الوحيد الذي

يمكن فيه أن تكون كلمة الحرية مقبولة هو المعنى الذي تضاد فيه فكرة الإرغام والقهر ومعنى ذلك أن سبينوزا يربط بين الاعتقاد الباطل عند الناس بحرية الإرادة البشرية وبين الجهل بأسباب أفعالهم أعني الأسباب المتحكمة في الاختيار للفعل .

٧ . نرى الارتباط بين الفضيلة والفهم واضحاً عند سبينوزا أي طالما أن الفضيلة ترتبط بالفهم فمن الطبيعي أن يزداد المرء اقتراباً منها كلما اتسع نطاق فهمه للأشياء ، حتى اذا توصل الى تأمل النظام الكلي للأشياء في صورته الشاملة حقق بذلك أسمى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من الفضائل وأمكنه التغلب تماماً على انفعالاته عن طريق ربطها بالضرورة الكونية الشاملة .

٨ . تبين لنا أن الانفعالات هي أساس الشقاق بين الناس وأن العقل هو وسيلتنا الى قهر الانفعالات ، فلا بد أن سعي الإنسان الى التغلب على انفعالاته يؤدي بالضرورة الى تأكيد المعاني الاجتماعية في نفس الإنسان .

٩. يمكننا تمييز القانون الإلهي بكونه يعطي أكبر الجزاء لمن يعرفونه ، حيث يعرفون الله عن طريق هذا القانون ويحبونه بروح صافية ثابتة، كرجال أحرار ، لا يخافون من عقاب ، ولا يطمعون في ثواب لأن الخوف والطمع ليس من شأن الرجال الأحرار بل هو من شأن ضعاف النفوس الذين تهيمن عليهم عبودية الجسد والمال .

١٠. يتضح لنا أن فكرة الضرورة لا تقضي على ما يسمى بالقوانين الإلهية ولا الإنسانية لذا سوف يبقى للأخلاق نفعها ، وبعدها انعكاساً لواقع الناس . فكل فعل شرير صادر عن الإنسان هو وليد الواقع الذي يعايشه ذلك الإنسان لكن من أجل ردع هذا الفعل لابد من العقاب وهكذا فالعقاب والمسؤولية إذا يستهدفان خير المجتمع ، فالفعل إذا لا يكون شراً أو خطيئة إلا بحسب الرؤية البشرية .

١١. من المؤكد أنه لا يمكننا أن نشك في أن النظام الديمقراطي في الحكم هو أفضل الطرق وأكثرها اتفاقاً مع الطبيعة الإنسانية ففي الدولة الديمقراطية نجد جميع الناس يتفقون على العمل بإرادة مشتركة ، لكنهم لا يتفقون على أن يبدوا آراءهم أو يفكروا بطريقة واحدة لذلك اتفقوا على العمل بالرأي الذي تجتمع عليه أغلبية الناس .

١٢. لقد رأينا أن الغرض من إقامة الدولة ، عند سبينورا ، ليس السيادة أو القهر وإخضاع الشعب لنيرفرد آخر ، بل التحرر من الخوف بحيث يعيش كل فرد في سلام . أي المحافظة على الحق الطبيعي في الحياة وفي السلوك . وليس الغرض من أي نظام سياسي تحويل البشر الى حيوانات أو آلات بل الحصول على سلامة الذهن والبدن ، أي أن غرض التنظيم في المجتمع هو الحرية .